



خطاب سمو ولي العهد الأمير مولاي الحسن بمناسبة افتتاح المدرسة التي أمر الجنب العالي أيده الله بتأسيسها وشاركت في تشييدها نخبة من أعيان فاس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

سيدي المهام الأكرم أيها السادة الأجلاء

قرر علماء الاقتصاد أن خير رأس مال الإنسان - العمل -
لا العمل المنقطع المذبذب . ولا كن العمل المتواصل المرتب .
لذلك ندبنا إليه سبحانه في كتابه المكنون ، على لسان نبيه الذي
يستنير بهديه المهتدون ، فقال عزت قدرته - « وقل اعملوا فسيرى
الله عملكم ورسوله والمؤمنون . وستردون إلى عالم الغيب والشهادة
فنبشركم بما كنتم تعملون » ثم هدانا جل جلاله في سلوك احسن
السبل إلى ذلك العمل فقال : « ولكم في رسول الله اسوة حسنة »
وكيف كان عمل قدوة المصلحين صلى الله عليه وسلم ؟ ارسله ربه
رحمة للعالمين يهدي إلى الصراط السوي ، بالارشاد المنير القوي ،



يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة - فطهرهم من ادران
الشرك ومهالك الفوايه ، وسلك بهم مسالك الرشد ومنهاج
الهداية ، يزج عنهم معايب الضلال ، وينكب بهم معاطب الشرك
والجهل ، وينشر فيهم محامد الحلال ، ليؤسس بهم حضارة العلم
والاحسان والعدل ، وما تم ربع قرن بعد وفاته صلى الله عليه
وسلم حتى عم الاسلام جبل اقطار المعمور - الرشد سنته ،
والعدل قوته ، ونشر المعارف بين عامة الناس عدته ، وتيسير
السعادة للعباد محبته ، من اقصى الهند الى وسط اوربا عمت كلمة
التوحيد ، ومبدأ الاخوة الحق والانسانية السمحة في انتشار وترديد ،
يتبارى الناس في سبيل البر والاحسان ، ليسمى بالتآزر في منهاج
السعادة كل بني الانسان ، ثم اخذ المسلمون ينقلون ما وجدوه
من العلوم عند غيرهم يدونونه ليحسنوه ، فتفتتوا فيه بعد
ما اتقنوه ، واخترعوا علوماً جديدة كالجبر والكيمياء وتقدموا
في علمي الطب والفلك تقدماً أنزلهم في اعلى درج المجتريين ، وفي
الصف الاول من رتب المتمدنين ، برعوا في الجراحة حتى كانت
النساء بالاندلس يباشرن كثيراً من العمليات الجراحية لغيرهن من



الاناث ، وأتقنوا علم تقويم البلدان حتى ان اول كرة ارضية
صنعت في الوجود هي التي صنعها الشريف الادريسي محمد بن محمد
الصقلي في القرن الخامس لروجير الفرنجي ملك صقلية؛ وكانت تلك
الكرة من الفضة زنتها ١٤٤ اوقية والشريف الادريسي المذكور
هو الذي الف كتاب زهرة المشتاق في اختراق الآفاق - قال بعض
المؤرخين من الأفرنج: « ان العرب استقاموا عدة قرون على
الطريق التي وضعها علماء مدرسة بغداد النظامية واتبعوا قواعدهم
وهي الانتقال من النظر في المسبيات الى اجتلاء الاسباب ،
لا يعملون الا على ما اتضحت صحته وعرفت حقيقته الى ان قال :
وازدانت بمدارسهم بغداد والبصرة والكوفة وبخارى وسمرقند وبلغ
واصبهان ودمشق وحلب في آسيا، والاسكندرية والقاهرة والقيروان
وتونس وبجاية وتلمسان وسبتة وفاس ومراكش في افريقيا، واشيلية
وقرطبة وغرناطة وغيرها من مدن الاندلس العديدة في اوربا .
وكان بالقاهرة عشرون مدرسة في القرن الرابع، وفي قرطبة وحدها
من بلاد الاندلس ثمانون مدرسة في عهد الحكم بن عبد الرحمن
الناصر المتوفي سنة ست وستين وثلاثمائة ، قال جيون في حماية



المسلمين للعلم في الشرق والغرب : ان ولاية الاقاليم والوزراء كانوا
ينافسون الخلفاء في اعلاء مقام العلم والعلماء وبسط اليد في الاتفاق
في اقامة يسوت العلم ووجدان اللذة في تحصيله انتشر في نفوس
الناس من سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة - انفق وزير واحد
لاحد السلاطين وهو نظام الملك مائتي الف دينار (ما يساوي
عشرات من الملايين اليوم) على بناء مدرسة في بغداد . وجعل لها
خمسة عشر الف دينار تصرف في شؤونها كل سنة ، وكان الذين
يفذون بالمعارف فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن اعظم العلماء
في المملكة وابن افقر الصانع ، غير ان الفقير ينفق عليه من الريع
المخصص للمدرسة ، وابن الغني يكتفي بمال ابيه ، والعلماء يفذون
اجوراً وافرة . انتهى كلام جيون . هذه اسطر من مجلد ما قام به
سلفنا الطاهر من مخلد المآثر . فماذا فعلنا نحن بعدهم ؟ ما تقشعر
منه جلود الأحرار ، ويندى له جبين ذوى الضمائر والاعتبار ، اخلدنا
الى تراثهم ناكله اكلاً لماً ، وانزويننا الى الجمول نوثر الكسل ونحب
الاتكال جأجأ ، بلغ بنا التخاذل حتى صرنا نعتقد ان تعليم الشباب
آفة ، وان من حرمة المرأة ان تنزوي في كسر بيتها مع شر



العوائد متكاتفه ، ولجيوش الجهل والخسران محالفة ، بلغ بنا الشقاء
الاعظم منا من ينفق الملايين في شهواته البهيمية يباهي
بالتبذير في سبيل الشيطان ، ويفتخر بالاتفاق في مهاوي العصيان .
بنى سلفنا الصالح المدارس فصارت تنهدم ولا من تاخذ الغيرة
فيسارع الى اصلاحها ، وأسس آباؤنا الاتحاد انفع المشاريع فموضاً
عن الزيادة فيها رجعنا عليها نهدم من بنائها وندخل اسباب
الانقراض على كيانها ؛ لا بالعلم النافع نجاري الأمم ولا للعمل المنتج
نسارع لتقدم . وكذلك فاضت على حضارتنا سيول الفساد ، وأبادت
سعادتنا ميقات البدعة والجهل والعناد ، حتى انه لما اراد سيدنا
المنصور رفق حـ.نا وأمر بتجديد نظام القرويين لاجلاء مهجته
وتكثير نتيجته وجد ايده الله اشد المعاكسة في من كان يجب عليه
ان يعينه بعلمه وعمله ، على ان ذلك لم يثن من عزمه القوي بل سار
نصره الله قدماً في سبيل الاصلاح حتى بدت للناس نتائجه ، وزاد
اعتناء بتأسيس مشاريع الفلاح حتى ظهرت ثمرات العمل الصالح
ومباهجه ، وبذلك السعي الحميد والموقف المشكور الرشيد اخذت
بذور الانتشار تثبت باذن ربها تتولى يد العناية سقيها لتوتي اكلها



كل حين في مصلحة البلاد وسعادة شعبها الكريم . فاقفت الأمة
سلطانها المحبوب المفدى في سعيه المتج و صارت تعينه فيما تستطيع
من صالح الأعمال التي يتسابق اليها ذوو الغيرة من الرجال .
ولا دليل على اشراق شمس الفلاح اكبر من هذه المدارس التي يؤسسها
الشعب المغربي لتكثير وسائل الثقافة ؛ سمعت سطات ومراكش
والبيضاء ومكناس والرباط بمدارسها وهذه نوبة العاصمة الادريسية
تتبعه اليوم زهواً بغيرة بعض اهل النجدة من سكانها العاملين
المشهورين بعظيم اخلاصهم في المشاريع الاحسانية العامة ، فادركوا
باعانة الباشا الحازم النشاط تيسير تأسيس هذا المعهد الجديد باشارة
من مولانا الهمام الذي شارك فيه مشاركة قوية من ماله الخاص ،
مقوياً نصره الله تبرعاتهم ومشجماً قوة مجهوداتهم ، فجاء يشرف
بذاته الكريمة حفلة افتتاح هذه المدرسة التي طلبت لجنتها ان
تتشرف باسمه الكريم ، وستكون بها زيادة بناء لينمو عدد تلامذتها
ويزيد اشراق نجم هدايتها . وستؤوي البنين والبنات لتسعدهم دنيا
وأخرى بما يطمح اليه المومنون والمومنات ، فخرأ خالداً لك ايها
العاصمة الزهراء وشكراً لنخبة سكانك العاملين ليزهروا مجدك



المخير ، ويهذبوا شبابك الطاهر ليعدوه ان يعمل بعد ثقافته لملو
ذكرك بين الأمصار ، ورفع قدرك السامي بين العواصم الكبار ،
ويسرنا في هذه المناسبة ان نتشكر شكرياً جماً من ذي الهمة الغيور
التاجر احمد بن الحاج محمد بن كيران الذي تفضل ببقعة من الارض
لبنينا بها مدرسة اخرى يشرفها الجناح الشريف ايده الله بوضع
حجرة اساسها عشية اليوم ، فبمثل هذه المحامد تفتخر الأمم الراقية
وبهذه المناقب تسعد الأوطان الزاهية - واليكم ماثورة تدلكم
على نتائج العلم اذا ما اخلص الناس في طلبه وسلوكوا اليه وسائل
تحصيله : لما منع الاسترقاق في اميركة سمع احد زوجهما بافتتاح
المدرسة الوحيدة التي تقبل الزنوج للتعليم ، ولاكنها تبعد عن
المحل الذي كان يعيش فيه بثمانمائة كيلومتر ، فارق امه وأخاه واحتمل
اشد الصعوبات في السفر ، وقطع تلك المرحلة القصوى حتى بلغ
المدرسة فدخلها خادماً متعلماً ، ولما حصل على الشهادة بعد ما يعلم
الله وحده ما قاساه من التعب والألم في سبيله ، اخذ على نفسه ان
يقف حياته على تعليم بني جنسه الزنوج ، فشرع في ذلك العمل
يجمع المال بكل ما يستطيعه من الوسائل ليؤسس معهداً للتعليم



وبعد عشرين عاماً من بذل جهود تخر لعظمتها الجبال اسس بمليين ونصف معهده الذي امكنه ان يؤوي الفاً وأربعمائة تلميذين ذكور واناث يستلزم تعليمهم صائراً قدره نصف مليون في السنة فما كانت نتيجة عمله بعد مضي عشرين عاماً اخرى اي بعد ما شرع في التعليم بأربعين عاماً ؟ ؟ كان من نتيجته ان تخرج من اولائك الزنوج الفان من الممثلين في المسارح وخمسون من مهندسي البناء ومائتان وستون من المصورين الفنانين مائة منهم من جنس النساء وثلاثمائة من الكتاب والكاتبات ومائتان من الصيدليين والاف من مديري المدارس والمديرات والاف من اطباء الأسنان والطبيبات والاف من رؤساء المحاكم وأربعة آلاف طبيب وطبيبة بين جراح وغيره ومائتان من المهندسين الكبار ذوي الشهادة العليا في الفن وأربعة آلاف من المرضين والمرضات. كان من نتائج عمل واشنطون بوكير الزنجي ان ثروة بني جنسه كانت يوم تأسيس معهده ثلاثمائة مليون فصارت بعد جهود عشرين عاماً ملياراً وسبعمائة مليون من الدولار وبلغ ما ينفق اولائك الزنوج في تعليم بنينهم وبناتهم اثني وثلاثين مليوناً من الدولار في كل سنة. واليك بياناً آخرأ يدلكم على



بذل الناس اقصى الجهود في سبيل التعليم . اجتمع اخواننا مسلمو الهند سنة (١٣٢٦) ست وعشرين وثلاثمائة ألف في حيدرآباد لانشاء جمعية لتعليم ابناء المسلمين فتقدم شاب لا يجاوز العشرين من عمره فقال : لقد توفي والدي هذه السنة وترك لي ثروة عقارية قدرها عشرون مليوناً من السكة الهندية ومثلها من النقود واني اتبرع للجمعية بكل مالي العقاري والنقدي وبكل ثيابي التي ترونها علي وزيادة علي ذلك فاني اتبرع للجمعية بنصف يومي كاتباً لها مجانياً والنصف الآخر يكفيني لأسمى فيه للقيام بقوتي - هكذا يجتهد الرجال - هذه والله صالحات الأعمال - فمثل هذا فيعمل العاملون وفي هذه الجهود يتنافس المتنافسون .

تعملون كلكم كيف كان اخواننا المصريون وجيرانهم الشاميون في القرن الماضي لا يغيب عنكم ما بذلوه من النفس والنفيس حتى تخرج منهم ما تعلمون من العلماء الاجلاء في كل الفنون وكم عندهم من مهرة الأطباء المباشرين والمهندسين المتفوقين وأرباب الأموال المتبرعين في كل سبل الاحسان فماذا تنتظرون لتخوضوا للجد والعمل وتقتحموا بحار الاجتهاد في النهوض بالامة بتعليم بنيتها وبناتها حتى



نرى الآلاف من اطبائنا ومهندسينا ومديرينا وأرباب المعامل
الصناعية الكبرى ومباشري الفلاحة بالطرق الوقتية الجديدة؟ انبقى
هكذا عالمة على الناس يتقدم غيرنا ونحن نرمي بأنفسنا القهقري حتى
نصبح اجانب في وطننا وغرباء في اوطاننا؟ عمروا مدارسكم
بالتعلمين وألزموهم المواظبة في التحصيل ووجهوا نخبهم الى الخارج
كي يرجعوا للمغرب بأنوار العرفان ووسائل التقدم بين بني الانسان.
اسلكوا سبل العلم المتج متكاتفين متآزرين فالفرد قليل بنفسه
كثير باخوانه . أتعلون ان المغرب لو اتفق سكانه المسلمون برمتهم
فرنكاً واحداً في السنة امكنهم ان يبعثوا بها مائتين من شبانهم
للتعليم في الخارج؟ ولا تمضي عشرون عاماً حتى ندرك ما ادرك
الناس بل اكثر مما ادرك الناس ، لأن المغربي قد وهبه الله من
الذكاء ما جعله في الصف الاول من الناجحين في طليعة البارزين .
اترضون ان يتقدم كل افراد البشر بالعمل والعرفان بينما نتأخر
وتلعب بنا امواج الجول واليساس؟ اترضون ان نكون في اخريات
المتقدمين بين بني الانسان والله تعالى يقول : كنتم خير امة
اخرجت للناس؟ كلا ثم كلا فهذا سيدنا الامام يحمل يمينه العزيزة



راية الفلاح بالعاملين الناصحين من امته ، وجهود مولانا الهمام تضمن
ادراك مدارج الفلاح للمجتهدين المخلصين من رعيته ، يرشدكم
بسديد الاعمال وينصحكم برشيد الاقوال ليفتخر بكم المغرب
في حاله ومثاله فامثلوا اوامره لتفوزوا في حلبة الاجتهاد واقتفوا
مناقبه وماثره ليعظم ذكركم ويعلو مجدكم بين العباد حتى اذا طابت
بمفيد السعي الذ الثمار وجنت نتائج العمل الصالح يد الأحرار
رددوا حمد من يوفق العباد لسلوك نهج المفلحين ، وتلوا في لذة
الادراك ونعمة الشكر - ونعم اجر العاملين .

الاثنين حادي عشر ذي القعدة عام ١٣٦٥

الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٦